



A Critical Vision of Arab Educational Research: Motivational Mechanisms to Activate Qualitative Educational Research

Rateb Salameh Al-Soud*

Department of Educational Leadership, Faculty of Educational Sciences, The University of Jordan, Amman, Jordan.

Abstract

Objectives: The research seeks to provide a critical perspective on Arab educational research and suggest motivational mechanisms for adopting qualitative educational research. This scientific approach emphasizes obtaining non-numerical data through observation and personal communication.

Methods: The analytical-synthetic approach was used, based on reviewing relevant educational literature, in preparation for extrapolating the appropriate motivational mechanisms.

Results: The reality of Arab educational research is quantitative and poor as it is often based on weak questionnaires, prepared in haste, and available samples, that are not given the required seriousness leading to inefficiency in providing explanations that lead to recommendations and then useful decisions in solving problems of the Arab educational system. Key challenges in Arab educational research include the lack of a national and regional research roadmap, limited group research, subjective goals, insufficient funding, researchers' weak research capabilities, and a reluctance to embrace qualitative research methods. A strategic plan has been proposed for all Arab universities, disseminated nationally and regionally, to enhance educational research. Key initiatives include incentivizing qualitative educational research by training researchers, allocating funds, and offering appropriate incentives. The plan outlines the techniques, elements, and implementation procedures for this type of research.

Conclusions: Arab educational research is currently limited, predominantly employing a quantitative approach with scientific shortcomings. It is often conducted by inadequately trained individuals, hindering its effectiveness in addressing educational issues. There is a need to embrace qualitative research methods, aiming for improvement at both school and university levels to elevate Arab society and bridge the gap with developed nations.

Keywords: Critical vision, Arab educational research, qualitative research.

رؤيا نقدية للبحث التربوي العربي: آليات تحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي

راتب سلامة السعدي*

قسم القيادة التربوية، كلية العلوم التربوية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

ملخص

الأهداف: يهدف البحث إلى تقديم رؤية نقدية للبحث التربوي العربي، واقتراح آليات تحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي؛ وهو منهج على يد يركز على الحصول على بيانات غير رقمية من خلال الملاحظة والإتصالات الشخصية.
المنهجية: استُخدم المنهج التحليلي-التركيبي، من خلال مراجعة الأدب التربوي ذي العلاقة، تمهيداً لاستقراء الآليات التحفيزية المناسبة.

النتائج: أشارت نتائج الدراسة إلى أن واقع البحث التربوي العربي كثي وهزيل، وأنه غالباً ما يستند إلى إستبانات ضعيفة أعدت على عجل، وعينات متيسرة، لا يلولها الجدية الازمة، مما جعل هذه البحوث الكمية عاجزة عن تقديم تفسيرات تقود إلى توصيات ومن ثم قرارات نافعة في حل مشكلات النظام التربوي العربي. كما جرى عرض تحديات البحث التربوي العربي، وأهمها غياب الخريطة البحثية القطرية والقومية، وندرة البحوث الجماعية، وغلبة الأهداف الذاتية، وضعف التمويل، وضعف المقدرات البحثية للباحثين، والعزوف عن استخدام منهج البحث النوعي. وفي ضوء ذلك، جرى اقتراح خطة استراتيجية على مستوى كل جامعة عربية، وتعتمد على المستويين القطري والقومي، للهبوط بالبحث التربوي العربي، وفي مقدمتها اقتراح آليات تحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي، تقوم على إعداد الباحثين وتدريبهم، وتخصيص الأموال الكافية، وتوفير الحوافز الملازمة لتشجيع الباحثين. كما جرى عرض فئات هذا البحث التربوي النوعي، وعناصره، وأليات توظيفه، وإجراءات تنفيذه.

الخلاصة: إن واقع البحث التربوي العربي ضحل، ويعتمد على نحو رئيس على المنهج الكمي، وبطريقة مغایرة لفنياته العلمية، وينفذ، بالأغلب، غير الأكفاء، مما يجعله عاجزاً عن معالجة المشكلات التربوية العربية. إن السبيل إلى الهبوط بالبحث التربوي العربي، هو تبني البحث النوعي، مما يؤمل أن ينعكس على تطوير العملية التعليمية: بمستويهما: المدرسي والجامعي، وهذا تطوير المجتمع العربي، واللحاق بررك الأمم المتقدمة..

الكلمات الدالة: رؤية نقدية، البحث التربوي العربي، البحث النوعي.

Received: 6/11/2022

Revised: 4/12/2022

Accepted: 29/01/2023

Published: 30/1/2024

* Corresponding author:

alsoud@ju.edu.jo

Citation: Al-Soud, R. S. (2024). A Critical Vision of Arab Educational Research: Motivational Mechanisms to Activate Qualitative Educational Research. *Dirasat: Human and Social Sciences*, 51(1), 136–148. <https://doi.org/10.35516/hum.v51i1.3031>



© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license <https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/>

المقدمة

أصبح من مكرور القول أن لا مكان للتعليم في الوطن العربي؛ بمستوييه: العام (المدرسي) والعلمي (الجامعي) على لوحة الشرف العالمية للتميز؛ إذ غابت الأنظمة التعليمية المدرسية العربية عن لوحة التميز العالمية المتمثلة في نتائج الاختبارات الدولية الدورية للطلبة، كاختباري TIMSS وPISA. كما غابت الجامعات العربية عن حلبة المنافسة العالمية، المتمثلة في التصنيفات الدولية للجامعات وفقاً لجودة برامجها، وعملياتها، ومنتجاتها البحثية، ومن ثم مخرجاتها، سواءً على صعيد الكفاءات التي يمتلكها الخريجون، أو الإنتاج البحثي، أو خدمة المجتمعات التي تحيط بها.

وعليه، فإن مجتمعنا العربي يعاني من مشكلة تربوية كبيرة. ولا بد هنا من أن نعيid إلى الأذهان حقيقة تاريخية؛ وهي أن التربية تمثل المتغير الرئيس (المستقل) في قوة الدول، والمحرك الأساسي لنهاية الأمم، والمسؤول الأول عن تقديم الشعوب، والأداة الأكثر فاعلية للتغيير وتشكيل المستقبل؛ لما لها من آثار إيجابية في دفع حركة المجتمع وبنائه والارتقاء به. ولذلك فلا غرابة إن وجدنا الدول المتقدمة في جميع أنحاء العالم، توفر التربية جل اهتمامها، وتضعها في رأس أولوياتها، وتخصص لها الأموال الازمة التي ربما تزيد على ربع ميزانية الدولة، كما في اليابان (23%)، وحوالي (25%) من الناتج المحلي الإجمالي في ألمانيا، وبتكلفة تزيد على (8000) دولار للللميند المدرسي في هاتين الدولتين، وحوالي (10000) دولار في فنلندا. وعلى صعيد الدول العربية، فقد بلغت موازنة وزارة التربية والتعليم الأردنية لعام 2021 حوالي (1.467) مليار دولار، تمثل حوالي (10.3%) من الموازنة العامة للدولة (14.26) مليار دولار، وبكلفة تبلغ حوالي (920) دولار للللميند الواحد (السعود، 2021).

ويتوقف نجاح النظام التربوي في أداء مهماته على إدارته Educational Administration، التي تمثل العقل المديّر في جسد هذا النظام، وهي المسؤولة عن نجاحه في تحقيق أهدافه من عدمها. وتمثل القيادة التربوية Educational Leadership جوهر العملية الإدارية، وتبعد أهميتها من أهمية الدور الذي تؤديه في المؤسسات التربوية، وما له من تأثير في جميع جوانب العملية الإدارية. والقيادة التربوية هي ذلك النوع من القيادة التي تتولّ مسؤولية تحقيق أهداف العملية التربوية من خلال قيام العاملين في المؤسسات التربوية بالواجبات المنوطة بهم. إذ لا يمكن أن يؤدي القائد التربوي دوره بفاعلية دون وجود الجماعة وتضارف جهودها. وتأسساً على ما سبق، فإن القيادة التربوية هي إحدى عناصر الإدارة التربوية، ويقوم علمها قائد تربوي تجاوز مرحلة الإدارة؛ التي تعنى بتسيير شؤون المؤسسة التربوية تسبيلاً ووتينياً Routinely Practices، إلى التأثير السحري في العاملين معه في المؤسسة التربوية Magic Influence، بما يوفر لهم فرص الإبداع والتطوير، وهكذا تحقيق أهداف مؤسستهم على الوجه الأكمل (السعود، 2021).

إذا كانت القيادة التربوية مهمة في المؤسسات التعليمية كافة KG-PhD، فإنها أكثر أهمية في مرحلة التعليم العالي؛ وتحديداً في الجامعات، تلك المؤسسات التي تعارف خبراء التعليم العالي على أن لها ثلاثة وظائف رئيسية، وهي:

1. التعليم: أي نقل العلم والمعرفة.
2. البحث العلمي: أي إنتاج العلم والمعرفة.
3. المسؤولية المجتمعية: أي تطبيق العلم والمعرفة.

وإذا كانت هذه الوظائف الثلاث للجامعة مهمة، ومتکاملة، وضرورية لنهضة المجتمع ورقمه، فإن وظيفة البحث العلمي هي أكثرها أهمية، وأعلاها منزلة، وتبقى كالشامة في وجه الجامعة، تُعطيها المكانة التي تستحق بين جامعات العالم من جهة، وتسُمِّها بالصفة التي تستأهل في دورها الحضاري من جهة أخرى. ذلك أن البحث العلمي هو ركيزة أساسية في توليد الأفكار، وابتكار الأجهزة، وابتكار الأدوات، وإنتاج التكنولوجيا، وكلها وسائل مهمة في تطور المجتمعات، ونهضة الأمم.

وقد أشار السعود والجادري (2019) إلى أن للبحث العلمي Scientific Research دوراً أساسياً في تقديم المجتمعات وتطورها، وأصبح الاهتمام به من المقاييس الرئيسية التي تقاربها حضارة الشعوب وتقدمها. وتعد مؤسسات التعليم العالي، مثل الجامعات والمعاهد ومراكز البحث، البؤر الرئيسية التي تصدر عنها البحث العلمي، حيث يشكل البحث العلمي العمود الفقري لها، وأهم النشاطات التي تناط بالعاملين بها. ويعُد البحث التربوي Research مجالاً من مجالات البحث العلمي، يهتم بمعالجة المشكلات والقضايا التربوية، بهدف الوصول إلى حلول ممكنة ومناسبة لها، كما يمكن أن يسهم في رسم السياسة التربوية، وتوفير البيانات والمعلومات اللازمة لصناعة القرار التربوي بطريقة رشيدة، ويمهد لعمليات التغيير والتجديد التربوي، وإثراء المعرفة، وتوظيفها لحل المشكلات.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

على الرغم من الأهمية الكبيرة للبحث التربوي، إلا أن هناك قلة في حجم المنتج منه في الوطن العربي قياساً بدول العالمين: الأول والثاني. ومن جهة أخرى، يلمّس المتابع أن هناك ضعفاً في نوعية هذا البحث، ويستدل على ذلك من الدور التأثيري الضعيف في تطوير النظام التربوي العربي، فضلاً عن قلة حجم المنشور منه في المجالات العلمية العالمية الرصينة.

وفي هذا الإطار، تأتي هذه الدراسة، لتقديم رؤى نقدية للبحث التربوي العربي، من خلال عرض واقع البحث التربوي العربي، وأهم التحديات التي تواجهه، ومن ثم اقتراح مجموعة من الحلول التي تستهدف التصدي لتلك التحديات، وفي مقدمتها اقتراح آليات تحفيزية لتوظيف أحد أهم أنواع هذا

البحث التربوي، وهو: البحث التربوي النوعي Qualitative Educational Research، بغية الهوض بهذا البحث، وإعطاءه الجرعة التصحيحية التي يستحق، مما يؤمن أن ينعكس على تطوير العملية التعليمية برمتها، وهكذا تطوير المجتمع العربي، واللهاق بركب الأمم المتقدمة. وعليه، فإن مشكلة الدراسة تمثل في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما الرؤية النقدية للبحث التربوي العربي، وما الآليات التحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي؟ وينبئ عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الخمس الآتية:

1. ما واقع البحث التربوي العربي؟
2. ما التحديات التي تواجه البحث التربوي العربي؟
3. ما الرؤية النقدية للبحث التربوي العربي؟
4. ما معالم الخطة الاستراتيجية البحثية العربية؟
5. ما الآليات التحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي في الوطن العربي؟

منهج الدراسة:

يكمن الدافع الأساسي لإجراء هذه الدراسة في محاولة الإسهام في تقديم رؤية نقدية للبحث التربوي العربي، ومن ثم اقتراح آليات تحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي في الوطن العربي، مما يتوقع أن يساعد في تطوير البحث التربوي في المؤسسات التعليمية العربية؛ بمختلف أنواعها، ويقدم مقررات لتجويد هذا البحث، فضلاً عن إزالة اللبس والغموض عن واحدٍ من المفاهيم الرئيسية في المجال التربوي، ألا وهو: مفهوم "البحث النوعي". ولهذا فإن الدراسة في جملتها تتبع المنهج التحليلي-Analytical-Synthetic Approach، والذي يقوم على مراجعة وتحليل الأدب النظري، والدراسات التربوية ذات الصلة، مع محاولة الإفادة من التجارب العالمية المعاصرة في هذا المجال (السعود والجادري، 2019)، بهدف تقديم رؤية نقدية للبحث التربوي العربي، ومن ثم اقتراح آليات تحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي في الوطن العربي.

نتائج الدراسة:

فيما يأتي عرض للنتائج التي تم التوصل إليها، وفقاً لأسئلة الدراسة:

نتائج السؤال الأول: ما واقع البحث التربوي العربي؟

إن الدراسة التحليلية لواقع البحث التربوي العربي تكشف عن جملة من السمات، ومن أهمها:

1. غياب الخريطة البحثية القطرية (على مستوى كل دولة). وغياب الخريطة البحثية القومية (على مستوى الوطن العربي برمته) Absence Of National& Arab Research Map والأقسام الخاصة بالبحث التربوي في وزارات التعليم العربية، لتحديد معاور البحث وتنفيذها، إضافة إلى عدم وجود استراتيجيات تضبط الأولويات البحثية، اعتماداً على مشكلات المجتمع وحاجاته ومطالبه، ومتطلبات خطط التنمية الخاصة به، مما ترتب عليه القيام بالبحوث بصورة اجتهادية، إن لم تكن عشوائية، كما ترتب عليه تكرار البحوث، وأصبح الأمر متروكاً للمزاج الشخصي في الإختيار، وسهولة التنفيذ.
2. ضعف إرتباط معظم البحوث التربوية بمدرسة فكرية معينة Most Research isn't Linked to a Particular School of Thought. ولذلك فإن إجراءاتها البحثية غير موثقة، ونتائجها غير دقيقة، ومناقشة نتائجها غير مقنعة، ولذلك تظل أهميتها متدنية ومحدودة. لقد أضحي البحث التربوي، في الأغلب الأعم، سطحياً تجزئياً، ضحلاً وينقصه العمق، ويُمارس في ظل غياب نظرية فكرية متراقبة (أنموذج إرشادي)، وبمنأى عمّا يجري من أبحاث في الميادين الحليفة Allied Disciplines، فبات معزولاً عمّا يجرى من تطورات في العلوم القريبة منه، والمشابهة له، إلى الحد الذي يمكن القول معه أن البحوث التربوية أصبحت في حالة ركود وجمود.
3. ندرة البحوث الجماعية، وضعف التعاون الباحثي بين أعضاء هيئة التدريس في التخصص الواحد، أو بين التخصصات في العلوم الأخرى، سواء على مستوى الجامعة أم الدولة أم الوطن العربي بأكمله. Low Co-authorship وعلاوةً على أن قلة التعاون الباحثي ينعكس سلباً على جودة المنتج، فإن هذا التأليف الفردي يخالف طبيعة التربية، وطبيعة مشكلاتها المتشابكة المتداخلة. وعلى العكس من جامعات الدول المتقدمة، فإن مما يشجع على هذا التوجه الباحثي الفردي عدم إعطاء الباحث المشترك علامة كاملة، ضمن تعليمات الترقية الجامعية، كذلك التي تُعطى للباحث الفردي، وإنما 60% إذا كان ترتيب الباحث أولًا في البحث المردوج، و50% في البحث الثاني، وهكذا.

4. افتقار البحث التربوي العربي للأصالة والإبداع Lack of Originality& Creativity. ذلك أننا أمام بحث تربوي مقلد ومزييف & Imitated Fake Research، لا بحث تربوي حقيقي مبدع. وفي هذا الإطار، فقد ميز فرج (2007) بين نوعين من الباحثين: النوع الأول (النادر)، وهو الباحثون الحقيقيون؛ الذين يمثلون نماذج جادة وفريدة ومبدعة وملزمة، ومتمنكون من العلم، ويتقنون مناهج البحث العلمي الرصين. إنهم معقد رجاء الأمة، وبمعث الأمل لها، بما قدموه يقدموا من بحوث علمية أصلية رصينة متميزة، إنطوت على إسهامات قيمة، وإضافات نافعة، ومنتجات معرفية حقيقة، والتي تُسمى المعرفة الأصلية الجديدة First Hand Knowledge. وأما النوع الثاني؛ فهم خليط من الباحثين المزيفين، والمقلدين، والهواة، وأشباه

الباحثين، والمتأرживين بين الانتقال واستنساخ بحوث سابقة. إنهم صادروا الشهادات Degree Hunters، الذين يفتقرن لقلة الحيلة، وتعوزهم أبسط قواعد الصنعة. لقد أفرز هؤلاء إنتاجاً مشوهاً ومشوشًا، ويعوق نمو الميدان، ويقوّض مستقبله، فجاءت الأبحاث مفككة في مبناتها ومعناها، وتحوي معرفة مستهلكة أو مستعملة، ولا تمثل قيمة، ولا يرجى منها أي نفع، ولا تقدم أي فائدة، وتصنف فلسفياً بالمعرفة المستنسخة Second Hand Knowledge، أو النفايات البحثية Rubbish Research. وتتضح خاصية افتقار البحث التربوي العربي للأصالة والإبداع، في المظاهر التالية:

- إن أغلب هذه البحوث المنجزة هي تقليد لبحوث تمت خارج الوطن العربي، أو تكرار لأبحاث محلية أو قومية أخرى Imitated Research، مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها، دون إضافات حقيقة للمعرفة، أو معالجة مختلفة للقضايا التربوية، مما يُعيق أهميتها متدنية ومحدودة.
- إن قصارى ما يمكن أن يضطلع به الباحث المزيف المقلد هو تجميع ما تفرق، وإعادة صياغة ما كُتب Compiling& Paraphrasing، وبصورة مبتذلة، تقوم على مبدأ (النسخ واللصق Copy& Paste)، مع سطوة الحاسوب الآلي.

ت. وتفاقم الأزمة مع سهولة استخدام الشبكة العنكبوتية، التي باتت توفر المعلومات، والدراسات السابقة، فينقلها الباحث المقلد، وأحياناً دون تصويب لأخطائها اللغوية أو الطباعية. إذ يمكن لأي باحث أن يكتب عن "دراسات سابقة" لم يرها، ولم يقرأها Full Dependence On Google. ث. عليه، فقد باتت كثير من مشروعات التخرج لطلبة البكالوريوس، ورسائل الماجستير، وأطروحتات الدكتوراه ليست في جوهرها إلا محض استعادة لكثير من قرينتها الأجنبية Restoration of Many of its Foreign Counterparts، أو محض تطبيق لأدوات بحث غريبة على عينات محلية. ج. كما أن كثيراً من هذه الأبحاث تمثل مبادرات لملئ الفراغ التربوي، تقوم على استيراد مخططات ونظريات متزوعة من سياقها الاجتماعي والفكري، والذي يبلغ أحياناً حد التصادم مع ظروفنا الاجتماعية وواقعنا الفلسفى والمىعي، وقيمنا ومعتقداتنا Most Research is Inconsistent with our Social Conditions, Our Reality& Our Culture

ح. انتشار الدكاكين والبقالات البحثية Spread of Research Shops، التي توفر خدمة إعداد البحوث، وكتابة الرسائل الجامعية، مقابل مبالغ مالية معينة.

5. النأي عن دراسة المشكلات التربوية الحقيقة والواقعية في المجتمع Avoiding the Study of Real& Actual Educational Problems، ذلك أن معظم البحوث التربوية العربية تستمد مجالها من اتجاهات البحوث التربوية في المجتمعات الغربية، علاوةً على إستغرافها في مسائل أكاديمية، بعيدة عن المشكلات الواقعية، ولذا فهي تبدو مغيرة عن واقعنا التربوي. وليس أدل على ذلك من تلك البحوث التي تستقر على رفوف المكتبات التربوية العربية، ولا تجد أي اهتمام أو صدى أو تفاعل مع هذا الواقع. ولا تزال غالبية البحوث التربوية العربية حبيسة التنظير الغربي، تهمل من مصادره، وتلتزم بمناهجه، وتستغرق في دراسة موضوعات تقليدية وهامشية "مزيفة"، على نحو تجزيئي، ومن ثم باتت وظيفتها إعادة إنتاج المجتمع أكثر من نقد الواقع، والعمل على تغييره.

6. المبالغة في استخدام الأرقام والأساليب الإحصائية لتحليل البيانات البحثية Overuse of Statistics to Analyze Research Data. إن الأرقام ما هي إلا وسيلة فقط، وإن وجودها واستخدام الإحصاء المعقد لتفسيرها لا يضمن التوصل إلى تحليلات واستنتاجات دقيقة. ولكن الإطار المرجعي للباحث ونظرته النوعية للأمور، وسعة اطلاعه، وإمامه ب مجالات التربية من فلسفة وأصول، هي فقط من يمكنه من تفسير نتائجه والإفاده منها وتوظيفها. وفي هذا المجال، فقد ذكر الدهشان (2015) أن حشو البحوث التربوية بالمعطيات الإحصائية والأرقام لإضفاء العلمية والموضوعية، دون التنبه إلى كونها مجرد حقائق جامدة صماء، تستلزم حسناً بحثياً يُضفي عليها التفسيرات النفسية والأخلاقية الازمة من واقع الخبرة المهنية، مما يقضى على روح البحث وشخصية الباحث. ومع التسليم بأهمية الإحصاء وقيمه في معالجة المعطيات التي تتوفر لدى الباحث، إلا إن الباحث مدعاً لعدم المبالغة في استخدامه للإحصاء (النسب المئوية ومستويات الدلالة)، بل إن قيمة الإحصاء تتحدد حسب الوظيفة التي يؤديها. فالأرقام ليست أكثر من مؤشرات يستخدمها الباحث في تأويل المعطيات للوصول إلى النتائج الحقيقة للبحث.

7. غياب الرؤية النقدية في البحوث التربوية Absence of Critical Vision. تلك الرؤية التي يمكن أن تتم من خلال معايشة الباحث لموضوع بحثه، واندماجه في المواقف التي يدرسها، بدرجة تُمكّنه من معرفة آليات وديناميّات التفاعل الاجتماعي، ومعرفة القوى الاجتماعية المرتبطة به، فيدون هذه الرؤية يفقد العمل الأكاديمي قيمته وأهميته. ويقف النقد التربوي مكان العدسة المحدبة Convex Lens، المجمعة لمعظم ما تولد من خلال المعارف المختلفة، والممارسات المتعددة. وهو توظيف متكامل ومنسجم ومتنا gammal لضروب المعرفة الإنسانية، والممارسات المهنية، ذات العلاقة بالظاهرة التربوية موضوع النقد. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تبصر شامل، وبصيرة نافذة (المهدى، 2007).

8. إن الغرض من غالبية البحوث التربوية العربية ذاتي لا مجتمعي The Purpose of the Majority of Arab Educational Research is Personal، ذلك أن الجزء الأكبر من البحث التربوي العربي هو نتاج أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات العربية، شأنه شأن باقي دول العالم. وينظر هؤلاء الأساتذة الباحثون إلى الإنتاج العلمي على إنه شأن ذاتي، وينشرون أبحاثهم لأغراض الترقى الأكاديمية، وليس لأغراض التنمية وال حاجة المجتمعية إليها. وما كانت الترقية بحاجة إلى عدد من البحوث، منشورة في مجلات محكمة، فقد ظهرت بعض الممارسات غير الأخلاقية في هذا الجانب؛ ومنها:

- أ. يقوم بعض الأساتذة بتجزئة البحث الواحد وتقسيمه وبعثرته في عدة بحوث بالدوران حول الموضوع نفسه، فمرة دراسة استطلاعية، وأخرى ميدانية، ثم تحليلية، وأخيراً تطبيقية.

ب. يقوم بعض الأساتذة بإضافة أسم (أو أسماء) زميل آخر له، مقابل مبالغ مالية متفق عليها، دون أي نوع من المشاركة الحقيقية في تنفيذ البحث.

ت. يقوم بعض الأساتذة بالاتفاق مع زميل (أو زملاء) آخر بإضافة إسمه إلى البحث المنجز، مقابل أن يفعل ذلك الزميل الشئ نفسه في بحث آخر يعده، دون أي مشاركة فعلية، أو حتى مجرد اطلاع من أحد هم على بحث الآخر.

ث. يميل عدد كبير من الأساتذة إلى نشر أبحاثهم في مجلات هزلية، هدفها استيفاء رسوم مالية مقابل النشر، دون إجراء أي تقييم علمي لتلك البحوث. وعلى الرغم من تنبه بعض الجامعات العربية إلى هذه الظاهرة، وإصدارها قوائم سنوية بالمجلات المعتمدة لغایات الترقية، إلا أن هناك بعض التحايل والتواطؤ.

ج. وما يساعد على انتشار هذه الظاهرة إشتراط بعض الجامعات العربية على عضو هيئة التدريس المتقدم للترقية نشر بحث أو أكثر في المجلة العلمية الصادرة عن تلك الجامعة، والتي لا تقتيد ببعضها بمعايير التقييم العلمي، هروباً من دفع مكافآت مالية للمقيمين، ولا تراعي شروط النشر أبداً.

9. العزوف عن استخدام منهج البحث التربوي النوعي Reluctance of Using the Qualitative Educational Research Method. ذلك أن تركيز معظم هذه البحوث على المنهج الكمي Quantitative، ونادراً ما يستخدم المنهج النوعي Qualitative. وفضلاً عن رداءة أدواتها، التي غالباً ما تكون استبانة أعدت على عجل، وعدم الجدية في الإجابة عن فقراتها، فقد عجزت تلك البحوث عن رءاية بعض مفاهيم وقضايا الفكر التربوي ومشكلاته، وضحالة ما أعطت خلال ما يقارب قرن من الزمان. كما إن تلك البحوث لم تركز على قضيّات التربية المفصليّة والكتري، بسبب عدم ملائمتها أساساً لدراسة الطواهر التربوية والاجتماعية المعقّدة، والتي لا يجوز افتعال تفتيتها أو تكميّتها بصورة غير صحيحة من أجل دراستها، حيث اكتفت تلك البحوث بالتركيز على دراسة المتغيرات المدرسية، من خلال الدراسات المسحية، أو علاقات الارتباط الإحصائية بين المدخلات والمخرجات، وتركّت ما يدور داخل المدرسة من تفاعلات اجتماعية وثقافية كصندوق أسود لا يعلم ما يدور داخله (الدهشان، 2015).

نتائج السؤال الثاني: ما التحديات التي تواجه البحث التربوي العربي؟

إتضح مما سبق أن واقع البحث التربوي العربي مؤلم، وصورته قاتمة، ومشهده مُرعب. وما كان ذلك إلا لأن هذا البحث التربوي العربي يواجه عديداً من التحديات Challenges، يرتبط بعضها بطبيعة التربية، ويرتبط ببعضها الآخر بالواقع الاقتصادي الاجتماعي العربي، والظروف السياسية التي مرت ولا زالت تمر بها الدول العربية، ونظم التعليم فيها. ومن أهم هذه التحديات:

1. الطبيعة الجدلية للتربية نفسها The Controversial Nature of Education، التي لا يوجد اتفاق حول مادتها ومحوها وإجراءاتها وأهدافها، فلا زال الناس غير مُجتمعين على الأهداف التي ينبغي أن تسعى إليها التربية، ولا على مفهوم الطبيعة الإنسانية، وطبيعة المعرفة، كما أنه لا يوجد إجماع بين المتبين على محتوى البرامج التربوية، أو كفاءة طريقة ما من طرق التعليم، أو طريقة ما من طرق التقويم (Doherty & Peters, 1981).

2. غياب المنهجية العلمية الثابتة والموحدة في تناول القضايا التربوية Absence of Unified& Consistent Scientific Methodology، على العكس تماماً من العلوم الطبيعية. وينبئ هذا التحدي من التحدى الأول المرتبط بطبيعة التربية، ذلك أن الباحث في العلوم التربوية عموماً لا يمكنه تطبيق الإجراءات المنهجية ذاتها التي يطبقها نظرائه في العلوم الطبيعية، وهكذا فهو غير قادر على التوصل إلى قوانين تشبه تلك القوانين التي توجد في العلوم الطبيعية. ويمكن السبب الرئيس وراء هذه الإشكالية في أن الظاهرة الإنسانية (التربوية والنفسية) هي ظاهرة معقدة متشابكة، يختلط فيها الذاتي بال موضوعي، ويمر فيها المنهج وأدواته وتفسير النتائج من خلال مدركات الباحثين، ووسائل إحساسهم، وهو ما يشكل تحدياً يواجه العديد من الباحثين في هذا المجال.

3. **عدم وجود فلسفة تربوية عربية محددة وواضحة** Absence of a Specific Arab Educational Philosophy، توجه كل الممارسات التربوية العربية، ومن بينها الممارسات المتعلقة بالبحث التربوي. فقدرة أي نظام تعليمي وكفايته تتوقف بدرجة كبيرة على انتلاقه من فلسفة تربوية واضحة، تضطلع بدور نقدٍ وتحليلٍ. إن غياب الفلسفة التربوية يؤدي بالضرورة إلى عدم الجدوى من وضع أي إستراتيجية لتطوير النظام التعليمي، ومنه البحث التربوي. كما إن غياب فلسفة تربوية عربية واضحة وأصلية أدى إلى استيراد فلسفات تربوية أجنبية غير ملائمة، أعاقت النظام التعليمي أكثر مما ساعدت على مواجهة كثير من مشكلاته. فالوطن العربي يعاني من تبعية فكرية تربوية للغرب Intellectual Educational Dependency on the West،قادت إلى إفتقار الرؤية الشاملة لدى كثير من الباحثين التربويين، حيث تقتصر معظم البحوث التربوية على معالجة أثر عدد محدود من المتغيرات على ظاهرة معينة، ومن ثم يصعب على أي باحث بمفرده أن يكون صورة شاملة عن كل العوامل المؤثرة في الظاهرة التربوية موضع البحث.

٤. عدم إيمان صانعي السياسات التربوية بالبحوث التربوية وتأثيرها

Research and its Results، وربما يرجع ذلك إلى ضعف المقدرات البحثية للباحثين، وكتابة الأبحاث بلغة غير علمية، وغير إجرائية، مما يجعل من الصعب على صانعي القرار التربوي فهمها، والإفادة منها، وتطبيق نتائجها، حتى وصل الأمر إلى وصف البعض للتربويين باللفظية والثرة وقلة الجدية في إتباع المنهج العلمي الصحيح في إجراء بحوثهم، ويعتقد بعضهم أن تطوير العملية التربوية والتعليمية مسؤولية قاصرة على القائمين على السياسة التعليمية والمنفذين لها دون غيرهم. ولكن الحقيقة تؤكد أنها مسؤولية مشتركة بينهم وبين الجهات المعنية بالبحث في الجامعات وكليات العلوم التربوية، ومراكز البحث وبين المسؤولين عن السياسة التعليمية (الدهشان، 2015).

5. صعوبة إقناع رسمى السياسات التربوية ومتخذي القرارات بوجاهة البحث التربوي Difficulty of Convincing Decision-Takers of the Validity of Educational Research، وبأهميةه في توجيه السياسات التربوية، والممارسات التعليمية التعلمية، ووجود فجوة بين الباحثين والممارسين، بسبب عوامل متعددة من بينها تباين ثقافة كل من الباحثين وصانعي السياسات التربوية، وإنما نوع من البحوث لا تخدم صناعة السياسات، وضعف الآلية البحثية التابعة لوزارات التربية والتعليم، وعدم تكامل الجهات البحثية المنتجة للبحوث، وعدم التنسيق في ما بينها، إضافة إلى ندرة وجود شراكات بين مؤسسات البحث التربوي وزارات التربية في القضايا ذات الصلة بالعملية التربوية.

6. ضعف فاعلية البحث التربوي في التصدي للمشكلات التربوية Research Low Effectiveness in Addressing Educational Problems، إذ لم تتحسم نتائج البحث التربوي العربي الكثير من قضايا التربية، ولم تنجح في تقديم إجابات شافية لتحدياته، أو حلول واضحة لمشكلاته. ذلك أن أغلب البحوث التربوية التي يتم إنجازها لا تخرج بعيداً عن نطاق الجامعات ومراكم البحوث، بل إن معظم البحوث التي تجري في أروقة الجامعات تمثل تمارين بحثية. أما البحوث التي ترتبط بالواقع، وتتبثق من حاجاته الفعلية، التي يقوم بها فرق من العلماء والخبراء، كمشروعات بحثية عملاقة تتبعها هيئات تمويلها، وتؤكد العلاقة الوثيقة بينها وبين صاحب القرار التربوي، فهي نادرة إن لم تكن غير موجودة. إن هذا التحدى يدفع باتجاه ضرورة تحسين قنوات الاتصال بين منتجي البحوث ومستخدمها، وتقليل الهوة والتفاوت بين ثقافة المنتج للبحث وثقافة المستخدم له، وإعادة صياغة عملية صناعة السياسات التعليمية، وربطها بمؤسسات البحث التربوي، وما تقدمه الدراسات التي تتم فيها من نتائج ومقترنات في هذا المجال.

7. ضعف التمويل اللازم للارتفاع بالبحث التربوي، وجعله أكثر فاعلية في معالجة القضايا ذات الأولوية Weak Financial Resources، وندرة مشاركة القطاع الخاص في تمويل النشاطات البحثية، نظراً إلى ارتباط البحث التربوي بالقطاعات التي لا زالت بعض الدول العربية تعتبرها وزارات خدمية. فلا زالت فكرة النظر إلى التعليم على انه استثمار، بل انه أفضل استثمار، قاصرة على التصور النظري دون أن يكون له صدى واضحًا في الواقع التطبيقي، من خلال توافر الميزانيات الكافية للانتقال بتلك الفكرة من الواقع النظري إلى جانب التطبيق. إن قلة الموارد المالية المخصصة للبحث التربوي هي نتيجة طبيعية لقلة الموارد المالية المخصصة للبحث العلمي على نحو عام، إذ لا تزال نسبة المخصصات الموجهة لقطاع التعليم والبحث العلمي والتربوي أقل بكثير من المستهدف، وأقل بكثير من تلك النسب في الدول المتقدمة. وتشير الإحصائيات إلى أن نسبة ما تنفقه الدول العربية مجتمعة على البحث العلمي لا تزيد على نصف بالمائة (0.05%) من الناتج القومي الإجمالي، مقارنة مع (4.3%) في كوريا الجنوبية، و(3.5%) في اليابان، و(2.75%) في الولايات المتحدة، و(2.1%) في الصين.

8. صعوبة الحصول على البيانات والإحصائيات الدقيقة Lack of Accurate Statistics، وعدم توافرها بالصورة التي تساعد الباحث على إجراء بحثه بصورة صحيحة وكفؤة، ولعدم وجود قواعد صحيحة للمعلومات أو ندرتها، فهذه الإحصاءات وتلك البيانات قد لا تكون متوفرة، أو تصدر متأخرة سنة أو سنتين، نظراً إلى أن أجهزة الإحصاء فيها متخلفة بشرياً وفيما، أو بسبب قلة الوعي بأهمية البيانات وضرورتها للبحث العلمي، مما يجعل الكثير منها قديماً وغير كافٍ، علاوة على ما تتسنم به هذه الإحصائيات من عدم الدقة.

9. الاعتماد الكبير على المنهج الكمي (الوصفي المسمى) في البحث التربوي، ودون مراعاة لأسس هذا المنهج ومبادئه Heavy Usage of Weak Research Capabilities of Arab Educational Researcher، إذ إن غالبية الباحثون تميل إلى الدراسات الوصفية المبسطة، القائمة على استخدام استبيانات متواضعة، وفق قاعدة الوجبات السريعة، دون مراعاة لمبادئ هذا المنهج وأسسه و مجالاته، ناهيك عن العزوف عن استخدام كل من المنهجين: الارتباطي والنوعي.

10. ضعف المقدرات البحثية للباحث التربوي العربي وتنزعى هذه الخاصية إلى تردي نوعية التعليم، وإنخفاض مستوى التدريب الذي يتلقاه الباحث في مختلف مراحل إعداده في جميع درجاته العلمية، ومنها مرحلة الدراسات العليا، ناهيك عن غياب الدافعية الشخصية للبحث، وندرة الحوافز والدعم المؤسسي، وقلة التسهيلات التي تُقدم لأساتذة الجامعات لتغطية النفقات البحثية، وعدم تشجيع حضور المؤتمرات العلمية. إن ضعف المقدرات العلمية، والمهارات البحثية للباحث التربوي العربي تتجلى في مجموعة من الهنات البحثية، وأهمها:

- أ. ضعف الصياغة اللغوية لعنوان البحث، وعدم انسجام العنوان مع المحتوى.
- ب. غياب الأصالة وعدم الأهمية العلمية والتطبيقية.
- ت. عدم سلامية المنهج البحثي وأدوات جمع البيانات، وعدم توافقهما مع موضوع البحث.

- ث. ضعف سلامة لغة البحث وأسلوب عرضه.
- ج. عدم مراعاة العناصر الأساسية في عرض الدراسات السابقة.
- ح. ضعف ترجمة الدراسات الأجنبية السابقة.
- خ. غياب القواعد العلمية في الاقتباس.
- د. عدم مراعاة القواعد الأخلاقية والأمانة العلمية.
- ذ. عدم انسجام نتائج البحث مع أهدافه.
- ر. ضعف توثيق المراجع، من حيث ثبوتها وشموليها وحداثتها وكفايتها.
- ز. عدم كتابة ملخص البحث وفقاً للقواعد المتبعة.

نتائج السؤال الثالث: ما الرؤية النقدية للبحث التربوي العربي؟

تلك هي رؤيتنا النقدية للبحث التربوي العربي. ذلك أن هناك واقع مير يعيشه هذا البحث التربوي العربي، ربما أفرزته تحديات جسام طرحته أرضًا، وتركته جسدًا بلا روح. وقد أقتت جميع التحديات العشر أعلاه، وربما غيرها، بضلالها على مناهج (آليات) البحث التربوي في الدول العربية، مثلما تركت آثارًا كبيرة على مخرجاته، وهكذا فُرِص الإفاده منه.

وتأسسنا على ما سبق، فإن التحديات التي تواجه البحث التربوي العربي ثقيلة وعميقة، أحالت واقع هذا البحث إلى هيكل كرتوني، ولم يعد له ذلك الأثر المادي الملموس في حل مشكلات المجتمع الحقيقة والواقعية. على إن هذه التحديات لا تعني أنها قدرية ومحتملة ولا يمكن التصدي لها. لقد كَبَّت أممٌ كثيرةً عبر الزمن ثم هُبَطَت. وإن التاريخ لشاهد على إن أمتنا العربية ذاتها قد سقطت عبر تاريخها أكثر من مرة، وما لبثت أن استفاقت واستعادت مجدها. وعليه، فلا شيء مستحيل في مواجهة تلك التحديات، بغية تغيير هذا الواقع المرضي، واللحاق برُكب الأمم المتقدمة. ولنا في تجارب تلك الأمم الأخرى المتقدمة لعبرة. والحكمة ضالة المؤمن، أيَّنما وجدها فهو أحق الناس بها.

إننا نعتقد أن الوقت قد حان، بل إنه قد تأخر كثيراً، لوضع خطة استراتيجية على مستوى كل جامعة عربية، ويصار إلى تعميمها على المستويين القطري (لكل دولة)، والقومي (ل الوطن العربي كاملاً)، للنهوض بالبحث التربوي العربي. خطة تقوم على إعداد الباحثين وتدريهم، ونبذ كل المحاولات البحثية البذرية، وتحصيص الأموال الكافية، وتوفير الجوائز الملاعنة لتشجيع الباحثين، واعتماد آليات تحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي. إننا نؤمن أن خطوة استراتيجية كهذه، كفيلة لقيام جامعاتنا العربية ومؤسساتها البحثية بدورها المطلوب، للانطلاق بمجتمعاتنا العربية لتلبأ مكانها المأمولة واللائقة بين الأمم، واستعادة الألق البحثي والعلمي الذي عاشته في عصور ازدهار الحضارة العربية والإسلامية، والتي شكلت، ولا تزال، قاعدة صلبة لانطلاق العلوم والمعرفة الغربية التي أبهرت العالم، وخاصة منذ أواسط القرن العشرين المنصرم.

نتائج السؤال الرابع: ما معايير الخطة الاستراتيجية البحثية العربية؟

ليست مهمتنا في هذه الورقة إعداد خطة استراتيجية تفصيلية للنهوض بالبحث التربوي العربي. فتلك مهمة تحتاج إلى جهود كبيرة يقوم بها فريق عمل متخصص. ولكن هذا لا يمنع من تحديد معايير هذه الخطة على نحو شمولي، أملاً في أن تُشكل نقطة إنطلاق لعمل مؤسسي في هذا المجال. والخطة الاستراتيجية Strategic Plan، هي وثيقة تحدد اتجاه المؤسسة؛ وهي هنا الجامعة أو المركز البحثي، وتشتمل على جميع النشاطات المحددة التي ستضطلع بها للتغلب على التحديات التي تواجهها في طريقها إلى تحقيق الأهداف، فضلاً عن الخطوات المنطقية التي ستتخذها لنقودها من البداية إلى النهاية وتلخص كيف يمكن أن تتحقق الأهداف، وتتضمن دراسة الواقع، وتحصيص الموارد، ووضع جداول توقعات، وأية أعمال أخرى يحتاج إليها لتحقيق هذه الأهداف. وهي تساعد المنظمة على تعرف المكان (المستوى) الذي تريد الوصول إليه، وكيف ستصل إليه. وتكون هذه الخطة من مجموعة من العناصر، وهي:

1. **الرؤية Vision:** وهي النظرة العامة التي تضعها الجامعة أو المؤسسة لنفسها، للشكل الذي ترغب في الوصول إليه مستقبلاً، وهي عنصر أساسي في التخطيط الاستراتيجي، لأن باقي العناصر تُبنى على أساس الرؤية. وتجيب الرؤية على سؤال: كيف ترغب في أن يكون شكل مؤسستك في فترة زمنية معينة، وعلى كافة المستويات؟ بمعنى في خلال خمس أو عشر سنوات، كم سيكون عدد الأبحاث العلمية المنشورة في مجالات عالمية؟ وما حجم المبالغ المخصصة للبحث العلمي؟
2. **الرسالة Mission:** تعبّر الرسالة عن مهام المؤسسة (الجامعة) باختصار، وكيف سيتم تنفيذها، ومن هم الأطراف المستفيدون مما تقدمه المؤسسة. ويساعد وضوح المهام على تحقيق الرؤية، كما تساعد على سهولة تحديد الأهداف.
3. **الأهداف الرئيسية Core Values:** وتنقسم إلى الأهداف قصيرة الأجل، التي يتم العمل عليها في فترة زمنية قصيرة، والأهداف طويلة الأجل المرتبطة بالوصول إلى الرؤية. وهي تفصيل الرؤية في عدة نقاط، ولها خمسة شروط، هي:
 - أ. محددة: بمعنى أن المؤسسة ترغب في تحقيق أهداف بعينها ولا تحيد عنها.

- بـ. قابلة للفحص: بمعنى أن تكون الأهداف ملموسة، ويمكن قياس نجاحها بعد إنتهاء الفترة الزمنية المحددة لها.
- تـ. قابلة للتحقق: أي أن تكون أهداف قابلة للتحقق في الوقت المحدد لها.
- ثـ. واقعية: أي أنها أهداف واقعية ويمكن إنجازها، فلا هي خياليةٌ ومبالغٌ فيها، ولا هي صعبة التحقق وفقاً لظروف المؤسسة.
- جـ. محددة بزمن: أي أن تكون الأهداف مرتبطة بزمن معين يلزم تحقيقها فيه.
- 4ـ. تحليل نقاط القوة والضعف والتهديدات والفرص: SWOT Analysis وبعد هذا التحليل من العناصر المهمة في التخطيط الاستراتيجي، وهي:
- أـ. نقاط القوة: أي ما الذي تمتلكه المؤسسة من إمكانيات مالية أو بشرية أو تكنولوجية.
- بـ. نقاط الضعف: Weaknesses أي ما الذي ينقصها، وربما يعرقل تحقيق الأهداف إذا لم تتمكن من إصلاحه.
- تـ. الفرص: Opportunities أي ما هي الفرص الجيدة المتاحة للمؤسسة، سواء من داخلها أم من خارجها، ولكن يمكن استغلالها.
- ثـ. التهديدات: Threats أي ما المشكلات التي تواجه المؤسسة في الداخل، وكيف يمكن التغلب عليها.
- 5ـ. خطة العمل Action Plan: وهي بداية الانطلاق لتنفيذ الرؤية والأهداف. إذ بعد تحديد الأهداف، تبدأ المؤسسة في التنفيذ. وفي أثناء عملية التنفيذ، كما بعد الانتهاء من كل مرحلة، تتم عملية التقييم لتفادي الأخطاء. والتقييم نشاط يجب أن يتكرر على نحو دوري على مدى قصير للتأكد من عدم الإبعاد عن الأهداف المعلنة، وتنتمي على مدى بعيد للتأكد من أن الأهداف تخدم الرؤية وفي الطريق لتحقيقها، وتتم على نحو نهائى لتقييم العمل والأخطاء التي يجب تجنبها مستقبلاً. ومن بعد ذلك تبدأ مرحلة التخطيط من جديد، لأن عملية التخطيط عملية لا متناهية، وتبدأ كل مرة بعد أن تنتهي من تحقيق الأهداف لوضع أهداف جديدة.

نتائج السؤال الخامس: ما الآليات التحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي؟

إننا إلى ما سبق، فإن البحث التربوي العربي يعيش واقعاً لا يسر، أفرزته جملةً من التهديدات الجسمانية التي تواجهه، وتفتت في عضده، بحيث أنها أحالته إلى جسد بلا روح، ومجرد حبر على ورق، إلا التراث القليل جداً منه. وإن النية الصادقة لمواجهة هذه التهديدات يتطلب العمل على هدي الخطة الإستراتيجية، التي أوضحتنا معالمها أعلاه، بهدف النهوض بهذا البحث التربوي العربي.

إننا بأمس الحاجة إلى القيام بثورة بحثية بيضاء على الموروث المنهجي التقليدي، والموروث الفكري الحالي، الذي يحمل الكثير من العيوب والمساوئ، والذي لم يعد بدوره ملائماً لروح العصر وتحدياته. ثورة تهدف إلى إنتاج روح بحثية جديدة، تتبدى من خلالها مناهج البحث التربوي السليم، وألياته المناسبة، تحمل فيها ومن خلالها رؤية نقدية أصيلة، تسهم في تأصيل الفكر النقدي في البحث التربوي العربي، وفي تعميق ثقافة الفكر النقدي في البحث الاجتماعي على نحو عام، والبحث التربوي على نحو خاص، وتحدث تحولاً فكرياً، يُساعد في تحريك العقل العربي، ويحرره مما اعتراه من وهن، ويحفزه على الإبداع، ويؤمن من كل ذلك أن يسهم في ظهور علوم تربوية تربط بالواقع، وتسهم في تغييره وتطويره، فلا يكفي بتفسيره بل يتعدى ذلك إلى محاولة تغييره (الدهشان، 2015).

لقد أشرنا إلى أن واحدة من أهم خصائص البحث التربوي العربي هي العزوف عن استخدام منهج البحث التربوي النوعي، والتركيز بدلاً من ذلك في معظم هذه البحوث على المنهج الكمي. إننا لا نقلل من شأن البحث التربوي الكمي، ولا نجحض فضله وأهميته. ولكننا أمام بحث تربوي كمي هزيل، يستند إلى أدوات هزيلة، غالباً ما تكون إستيانة ضعيفة أُعدت على عجل، يستجيب لها عدد غير كافٍ من المفحوصين، الذين لا يولونها الجدية اللازمة. ولذا، فلا غرابة إن وجدنا هذه البحوث التربوية الكمية قد عجزت عن فهم كثير من مفاهيم وقضايا الفكر التربوي ومشكلاته، وتقديم تفسيرات منطقية، تقود إلى توصيات ومن ثم قرارات نافعة في حل المشكلات الواقعية للنظام التربوي العربي.

وما يغيب تركيز تلك البحوث الكمية على قضايا التربية المفصلية والكمي، بسبب عدم ملاءمتها أصلاً لدراسة الظواهر التربوية والاجتماعية المعقدة، والتي لا يجوز افتعال تفتيتها أو تكميتها بصورة غير صحيحة من أجل دراستها، وما اكتفت تلك البحوث الكمية بالتركيز على دراسة المتغيرات المدرسية، من خلال الدراسات المسحية، أو علاقات الارتباط الإحصائية بين المدخلات والمخرجات، وتركت ما يدور داخل المدرسة من تفاعلات اجتماعية وثقافية كصناديق أسود لا يعلم ما يدور داخله، وما كانت تلك البحوث الكمية لا تستهدف حل مشكلات المجتمع الواقعية، وإنما لأغراض ذاتية، كالترقيات الأكademية، أو استيفاء متطلبات الحصول على إحدى الدرجات العلمية، للطلبة، كان لابد من استبدال هذا النهج الباحثي الكمي بأخر كيفي.

وقبل عرض فنيات هذا البحث التربوي النوعي، وعنصره، وأليات توظيفه، كان لابد من تسلیط الضوء على أنواع البحث العلمي، ومناهجه، ليتسنى لنا تعرف الميزات الكثيرة، والأهمية الكبيرة، لهذا البحث التربوي النوعي.

أنواع البحوث العلمية:

يُطلعنا الأدب النظري المعاصر على تسميات عديدة لأنواع البحوث العلمية التي تُستخدم في العلوم الإنسانية والطبيعية والتي تتجاوز عشرين نوعاً. وعلى الرغم من هذا التعدد في أنواع البحوث العلمية، إلا إن المدقق فيها يجد الكثير من التداخل بينها، وإن البعض منها يعد أنواعاً فرعية من أنواع رئيسة فيها. وللحاجة هذا الوضع يمكن عرض أنواع البحوث وفقاً لأسس تصفيفية لأنواع التي تتشابه في سماتها، أو تجمعها صفة عامة ومميزة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: تصنيف البحوث وفقاً لأسلوب التفكير العلمي:

يُعد تصنيف البحث العلمية وفقاً لأسلوب التفكير العلمي Research Classification Based on Scientific Thinking من التصنيفات القديمة، والذي لا يزال ذو أهمية في وقتنا المعاصر، وذلك لأنه يقوم على التفكير الاستنابطي (القياسي) والتفكير الإستقرائي، اللذان يتباون أهمية تطبيقه في معظم منهجيات البحث العلمية المعاصرة، وذلك على النحو التالي:

1. **البحوث التي تعتمد أسلوب التفكير الاستنابطي Deductive Thinking:** وتهدف إلى التحقق من صدق المعرفة الجديدة، أو الاستنتاجات وفقاً لمعرفة سابقة مبنية على مبادئ وتعتيمات أو افتراضات ومسلمات علمية. وتبدأ إجراءات هذه البحث بتحديد مشكلة البحث وإيجاد المعالجات للوصول إلى استنتاجات. وإن التوصل إلى هذه الاستنتاجات يرتبط على نحو أساسى بالمعرفة السابقة التي يطلق عليها بالمقدمة الأولى. كما يطلق على المعرفة المتصلة بمشكلة البحث من خلال المعلومات والبيانات المتوفّرة عنها المقدمة الثانية. وفي ضوء هاتين المقدمتين يمكن التوصل إلى الاستنتاجات.

2. **البحوث التي تعتمد أسلوب التفكير الإستقرائي Inductive Thinking:** تقوم فكرة الأسلوب الإستقرائي على أساس أن صدق الأدلة والمعرفة المتصلة بالجزاء تؤدي إلى التوصل إلى صدق الكل. أي إن الباحث في إجراءاته البحثية يقوم بجمع الحقائق المحسوسة استناداً إلى وسائل الملاحظة والتجربة والإدراك الحسي للأجزاء حتى يصل من خلالها إلى تعميم عن الكل الذي يعبر عن كل هذه الأجزاء.

ثانياً: تصنيف البحوث وفقاً لتطبيقها ميدانياً:

يستند تصنيف البحث العلمية وفقاً لتطبيقها ميدانياً Field Application على البعدين النظري والتطبيقي في تناول المشكلات البحثية وإجراءات معالجتها. وتقسم البحث العلمية وفقاً لهذا التصنيف إلى ثلاثة أنواع وهي:

1. **البحوث الأساسية (البحثة Pure Research):** وهدف إلى استخلاص مبادئ أو تعليمات لها علاقة ببناء وتكوين نظريات تتصل بالظواهر الطبيعية والإنسانية على حد سواء. و تسترشد هذه الأنواع من البحث في إجرائها بخطوات الطريقة العلمية على نحو دقيق في تناول الظواهر أو الأحداث بغية التوصل إلى تفسيرات دقيقة لهذه الظواهر. إن هذه التفسيرات الدقيقة تقود إلى استخلاص مبادئ وتعليمات تشكل مدخلاً إلى بناء نظريات علمية من شأنها أن تضيف مساحة أوسع للمعرفة الإنسانية.

2. **البحوث التطبيقية Applied Research:** وهي البحث الذي تهتم بدراسة المشكلات الطبيعية والإنسانية ميدانياً، بهدف إيجاد الحلول والمعالجات التي من شأنها تحسين الواقع. وتتجدر الإشارة إلى حاجة البحث الأساسية إلى النتائج التي تتوصل إليها البحوث التطبيقية في معالجة المشكلات، وذلك من أجل توظيف التعليمات والنظريات التي تهدف إلى تحقيقها. عليه يمكن القول بأن هناك علاقة تكاملية ووظيفية تبادلية بين نوعي البحث الأساسية والتطبيقية ولا يمكن وضع حدود فاصلة بينهما، حيث يُشكّل كلاً منها مدخلاً مهماً لتطوير الآخر.

3. **البحوث الإجرائية Operational Research:** وهي أحياناً بالبحوث الموجهة نحو العمل، والتي تتميز بكونها تصب جل اهتمامها على مشكلة محددة، ولا تستهدف الوصول إلى معارف علمية لغرض تعميمها، لأن أهدافها تكون محددة جداً ومقتصرة على معالجة مشكلة محددة.

ثالثاً: تصنيف البحوث وفقاً لطبيعتها الوظيفية:

تصنّف البحوث وفقاً لطبيعتها الوظيفية Functional Nature إلى ثلاثة أنواع، وهي:

1. **البحوث المهنية Professional Research:** يتم إجراء هذه البحث من قبل اختصاصيين يمتلكون مهارات بحثية، ويعملون في مؤسسات ليست بحثية، مثل المؤسسات الإنتاجية أو الخدمية أو في مراكز بحوث دراسات. ويتناول هؤلاء الباحثون مشكلات تتعلق بطبيعة أعمال مؤسستهم، ومحاولة إيجاد حلول لها، واقتراح التوصيات للجهة المسؤولة عن اتخاذ القرارات لما يجب فعله لتصحيح مسارات العمل والأداء على نحو هادف. وبذلك فإن طبيعة هذه البحث تكون على شكل تقارير داخلية لا ترقى إلى مستوى النشر العلمي في المجالات العلمية. وفي أغلب الأحيان لا يصل المستوى العلمي بهذه البحوث المهنية إلى مستوى البحوث الأكademie من حيث استخدامها لأسس ومتاهج البحث العلمي، وما يرتبط بها من وسائل وإجراءات. وإن، فإن هذه البحث لا تحقق درجة عالية من الدقة والموضوعية التي تتحققها البحوث الأكademie.

2. **البحوث الأكademie Academic Research:** ويقوم بإجرائها أشخاص يتميزون بقدرات ومهارات عالية لأداء البحث العلمية، إما احترافاً أو جزءاً من مهامهم العلمية، أو لغايات الحصول على درجات علمية، وعلى النحو التالي:

أ. **بحوث أساتذة الجامعات University Professors' Research:** يمثل البحث العلمي لدى أساتذة الجامعات جزءاً من مهامهم الوظيفية، بهدف معالجة مشكلات بحثية، وذلك لتحقيق هدفين رئيسيين، وهما: الحصول على ترقيات علمية تتطلبها طبيعة عملهم الجامعي، ومعالجة مشكلات بحثية بتكييف من جهات معينة، سواء إنتاجية أم خدمية.

ب. **بحوث طلبة الدراسات العليا Graduate Students Research:** وتشمل البحث التي يُجريها طلبة مستوى: الماجستير (رسالة Thesis)، والدكتوراه (أطروحة Dissertation)، كأحد متطلبات حصولهم على الدرجة العلمية المطلوبة.

ت. **بحوث الباحثين في مراكز البحث العلمية Research of Researchers in Scientific Research Centers:** وتشمل البحث التي يقوم به

- باحثون في مراكز البحث العلمية، بهدف معالجة مشكلات بحثية محددة.
3. **البحوث التطويرية Developmental Research:** وتهدف إلى الإفادة من النتائج التي تتوصل لها البحوث العلمية ببعدها الأساسي والتطبيقي لتطوير الممارسات على الصعيد الميداني. ولذا، فإن منهجية البحث التطوري (تطوير: النماذج، والإستراتيجيات، والقواعد، والأدلة، والمعايير، والسياسات، والمدونات، والخطط، والبرامج، والتصورات)، تختلف في خطواتها وإجراءاتها التطبيقية عن البحث العادي. ونظرًا إلى خصوصية هذا النوع من الدراسات، فإن عملية البحث التطوري تسير وفق مراحل خمس، وهي:
 1. **المرحلة الأولى:** مسح الخلفية النظرية لموضوع الدراسة: وتتضمن تحديد الأهداف التي يروم الباحث تحقيقه، ومن ثم جمع الأدب النظري ذي العلاقة، من مصادر ومراجع ودوريات، والإفادة من شبكة المعلومات العنكبوتية، واختيار ما يلائم الدراسة من الأدب التربوي، وبخاصة الاتجاهات العالمية المعاصرة في موضوع الدراسة.
 2. **المرحلة الثانية:** تحديد الأساس وفرز المتغيرات التي قاعدة البناء المقترن: وفهما يتم استنباط المتغيرات الأساسية اللازمة للتطوير (كتابه الأنماذج أو الدليل الإداري، أو غيره)، من خلال تحليل أدب الدراسة، واختيار النقاط الجوهرية الملائمة لواقع التربوي، أي إجراء مسح متكامل وعملي للنتائج التي توصلت إليها البحوث العلمية؛ ببعدها الأساسي والتطبيقي، لتحديد ما يمكن الإفادة منها في البحث التطوري وما يرتبط بأهدافه.
 3. **المرحلة الثالثة:** دراسة الواقع وقياس المتغيرات: وفهما يتم جمع المعلومات اللازمة عن الواقع موضوع الدراسة، من خلال وصف مجتمعها، وآداتها، والمعالجات الإحصائية اللازمة لتحليل بياناتها.
 4. **المرحلة الرابعة:** تنفيذ التطوير المستهدف واقتراحه: وفي هذه المرحلة يتم اقتراح أو بناء الأنماذج أو الدليل المقترن، أو ما شابه، في ضوء نتائج الدراسة المسحية لواقع، واسترشادًا بالاتجاهات العالمية المعاصرة في موضوع الدراسة، اعتمادًا على الأدب النظري ذي العلاقة، والمتضمن في المراجع والمصادر والدراسات المحكمة، وبنائه على شكل خطوات متسلسلة ذات معنى في أشكالها، بحيث تؤدي إلى الوصول إلى أنماذج أو دليل إداري تربوي يُسمم في تحقيق الهدف الذي من أجله قامت الدراسة.
 5. **المرحلة الخامسة:** التأكيد من درجة ملاءمة العمل المطور: أي التحقق من درجة ملاءمة الأنماذج أو الدليل الإداري التربوي المقترن، إما من خلال تطبيقه ميدانيًا، أو من خلال عرضه على مجموعة من الخبراء والمحترفين، لبيان الرأي في مدى إمكانية تطبيقه، ليصار إلى إجراء التعديلات اللازمة على العمل المطور، وهكذا المصادقة عليه، تمهيدًا للتوصية باعتماده.

رابعًا: تصنيف البحث وفقًا للأساليب القياسية المستخدمة:

تصنف البحوث وفقًا للأساليب القياسية Measurement Techniques، التي تستخدم في إجرائها إلى نوعين، وهما:

1. **البحوث الكمية Quantitative Research:** ربما كانت إحدى السمات الأساسية التي تميز بها البحوث الكمية هي البيانات التي يتم جمعها بإستخدام وسائل قياسية كمية، مثل المقاييس والاختبارات وبطاقات الملاحظة المنظمة والإستبيانات. وبعد أن يتم جمع البيانات يقوم الباحث بتبويبها وتحليلها وفقًا للأساليب الإحصاء الوصفي والتحليلي، وذلك للتوصول إلى نتائج واستنتاجات يمكن تعيمتها. وبعد منهج البحث الكمي من أكثر المناهج العلمية شيوعًا واستخدامًا في البحث التربوي. وتمثل قيمته العلمية في دقة نتائجه وموضوعيتها، شريطة اتباع الإجراءات العلمية الدقيقة التي تتضمنها هذه المنهجية، من حيث طرق أخذ العينات، وأساليب تطوير الأدوات القياسية وتطبيقها، واختيار واستخدام الاختبارات الإحصائية لغرض تحليل البيانات والتوصول إلى استنتاجات.
 2. **البحوث النوعية Qualitative Research:** تزايد استخدام البحث النوعية منذ ستينيات القرن العشرين، كرد فعل لمنهجية البحث الكمي، استنادًا لتصور دعاة هذا المنهج الجديد بأن البحث الكمي غير قادر على توفير المعرفة المعمقة في دراسة الظواهر، كما إنه يرتكز على الأساليب والإجراءات أكثر من النتائج.
- ويعرف البحث النوعي بأنه البحث الذي لا يستخدم الطرق الكمية والأساليب الإحصائية في معالجة المعلومات للحصول على النتائج ذات الصلة بموضوع أو مشكلة الدراسة. ويعبّر عنه بالفهم العميق لتفسير الظاهرة واستخلاص استنتاجات عنها، بعيدًا عن تعيمتها والتنبؤ منها كما هو الحال في البحوث الكمية.
- وهيتم البحث النوعي بالتفاصيل الدقيقة على نحو أكبر من البحث الكمي، ويتناول كافة الفروق والعوامل التي تؤدي إلى إحداث تلك الفروق بغض النظر عن كونها فروق ذات دلالة إحصائية أو ليست كذلك. إن هذه الخاصية تميز البحث النوعي عن البحث الكمي. ففي البحث الكمي بناءً على النتائج التي تظهرها الاختبارات الإحصائية، قد تهمل الفروق بالرغم من وجودها، وذلك لأنها ليست ذات دلالة إحصائية، في حين يتناول البحث النوعي تلك الفروق، وذلك بإعتبارها مهمة، ومهمًا كانت بسيطة يمكن أن يكون لها تأثير نتيجة تفاعليها مع الظاهرة. عمومًا يمكن القول بأن البحث النوعي يمكن أن يستخدم عندما لا يمكن للبحث الكمي بناء على المقاييس التي تستخدم فيه من تفسير الظاهرة أو الحديث على نحو عميق، ولذلك فإن اللجوء لأساليب البحث النوعي قد يساعد إلى الوصول لتفسيرات أكثر دقة في دراسة الظواهر.

العينات في البحث النوعي Samples in Qualitative Research

يهم البحث النوعي بعملية جمع المعلومات من خلال عينة من الأفراد الذين هم جزء من مجتمع الدراسة الذي يستهدفه الباحث. وإن نوع العينة التي يتناولها الباحث النوعي تكون قصدية أو هادفة Purposeful Sample ، وتعد من العينات غير الإحصائية أو الإحتمالية التي تنسجم مع توجهات الباحث النوعي في الحصول على معلومات أكثر، وبالأخص من الأفراد الذين لديهم معلومات مهمة، بحيث يمكن الإفاده منها في تحقيق أهداف الدراسة. وعلاوةً على ذلك، فإن الباحث النوعي لا يحتاج إلى تعليم نتائج بحثه على مواقف أخرى، ولذا فإن العينات القصدية تنسجم مع هذا التوجّه البحثي.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن هناك عدّة أنواع من العينات القصدية التي يستخدمها الباحث النوعي كمصدر للمعلومات، وتشمل:

- العينة الشاملة Comprehensive Sample:** وهي العينة التي تشمل كافة أفراد الدراسة وكل ما يتوفّر من وثائق ونشرات لها علاقة بمشكلة الدراسة.

- العينة المتباعدة Variation Sample:** وهي العينة التي تأخذ في الإعتبار كافة الاختلافات في خصائص أفراد المجتمع المستهدف بالدراسة. على إن أهمية هذه التباينات في خصوصيات الأفراد تساعد الباحث للحصول على معلومات من مختلف الأفراد.

- العينة الشبكية (كرة الثلج) Network Sample:** وتقوم فكرة هذه العينة على أساس أن الفرد الذي تجري مقابلته من قبل الباحث، يمكن أن يوصي بفرد آخر يمتلك معلومات ذات صلة بالأسئلة المطروحة. وهكذا فإن حجم العينة يزداد على نحو مستمر، كما إن حجم المعلومات يتضاعم أيضاً نتيجة لذلك.

- عينة الحالات الخاصة Special Cases Sample:** وتُستخدم هذه العينات عندما يدرس الباحث ظاهرة أو موقف معين، فإنه يقوم بإختيار عينة بمواصفات معينة، وذلك لإعتقاده بأن هؤلاء الأفراد هم الأكثر أهمية في تقديم المعلومات التي تساعد على تفسير الظاهرة قيد الدراسة. وجملة القول في موضوع العينات في البحث النوعي، أنه وبغضّ النظر عن نوع العينة القصدية التي يستخدمها الباحث النوعي، فإن هناك مرونة كبيرة في حجم العينة، من حيث العدد الذي يمكن إختياره من الأفراد، فيمكن زيادته بقدر الحاجة التي تتطلّبها إجراءات البحث. وعموماً يكون حجم العينة (من 1-إلى 40) فرداً، وقد يزيد عن ذلك وفقاً لأهداف الدراسة، ومدى امتلاك الأفراد للمعلومات التي يتطلّبها البحث.

إجراء (تنفيذ) البحث النوعي Implementing Qualitative Research

يتطلب إجراء البحث النوعي ثلاثة من المهام التي يؤدها الباحث، وهي:

- أن يضع الباحث إبتداءً تصميماً أولياً يوضح فيه استراتيجية في البحث.

- أن يعيش الباحث الموقف أو الحدث أو الحالة في موقعها الطبيعي، ليتمكن من الإستجابة وتكييف إجراءاته البحثية تجاه ذلك الموقف.

- أن يطور الباحث مهاراته، ويصبح كادة تقوم بجمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها.

صدق البحث النوعي Validity of Qualitative Research

إن صدق البحث في منهجية البحث الكمي يتمثل في صدق أدواته وإجراءاته البحثية. أي أن تكون أدوات القياس صادقة، وتمثل فيها الدقة والثبات، وأن يبتعد الباحث في إجراءاته عن كل ما هو غير موضوعي ومتخيّز. أما في البحث النوعي، فإن الصدق يتمثل في قوّة الإتساق والتوافق بين التفسيرات والإستنتاجات التي يظهرها الباحث مع الحقائق الواقعية والميدانية. ولذلك فإن البحث النوعي لا يتأثر بعوامل الصدق الداخلي والخارجي ذات الصلة بإمكانية تعميم النتائج على مواقف أخرى. في حين يلاحظ أن البحث الكمي يتم بدرجة عالية في ضبط عوامل الصدق الداخلي، وذلك لكي يعزّز التغييرات التي تحصل بالمتغيرات التالية إلى فعل أو تأثير العوامل المستقلة قيد الدراسة. كما يتم أيضاً بالصدق الخارجي، وذلك لإمكانية تعميم النتائج على نطاق واسع. وتأسساً على ما سبق، وكى يكون البحث النوعي متضمّناً لخصائص الصدق، كان من الضرورة أن يقوم الباحث باجراءين، وهما:

- أن يقدم الباحث ما يلاحظه ويشاهده على نحو حقيقي ودون تغيير.

- أن يقدم الباحث ما يلاحظه ويشاهده فعلاً، وليس ما يعكس معتقداته واتجاهاته.

خصائص البحث التربوي النوعي:

على الرغم من صعوبته، ومكوناته المتداخلة، فإن البحث النوعي لم ينل عبر تاريخه الطويل قدراً من الاهتمام كالذي ناله خلال العقودين الأخيرين. وذلك لإيمان الباحثين بأهمية هذا النوع من البحوث في فهم الطواهر الإنسانية، والواقع المحيطة بصورة عملية وواقعية، لما توفره من وسائل تمكن من تسخير القدرات والمعرف لتفسير الواقع والوصول للحقائق. وعلى نحو أكثر تحديداً، يمكن تحديد خصائص البحث التربوي النوعي على النحو التالي:

- المنهجية والأهداف Methodology& Objectives:** يتميز البحث النوعي بمنهجيته وأهدافه. إذ يقتضي قيام الباحث بمعايشة المجتمع محل البحث، ويطلب آليات معينة لجمع البيانات؛ كتوثيق المشاهدات اليومية، ضمن الموقف التربوي وخارجه، وإجراء مقابلات مع أفراد الدراسة، وتحليل وثائق ذات صلة.

2. طول وقت جمع البيانات: Long Data Collection Time يوصف البحث النوعي بأنه بحث تفاعلي يتطلب وقتاً طويلاً للملاحظة والمقابلة، وتسجيل المعلومات كما تحدث على نحوها وفي مواقفها الطبيعية، ويستغرق أوقاتاً طويلة تمتد من أشهر لعدة سنوات.
3. عدم وجود افتراضات مسبقة تقود البحث: No Presuppositions Driving the Research: لا يقوم البحث النوعي على فرضيات مسبقة ومحاور صارمة للأسئلة التي تقود البحث، فليس الهدف الوصول إلى تعميمات نظرية أو إصدار أحكام أو حتى الخروج بتوصيات، بل الكشف عن مشكلات وظواهر داخل المؤسسة التربوية، ربما يكون بعضها عائداً خلفاً أمام تحقيق الأهداف التعليمية التربوية داخل المجتمع التربوي.
4. تقديم وصف مكثف للظاهرة التربوية: Providing Extensive Description of the Educational Phenomenon: إذ يقدم البحث النوعي وصفاً مكثفاً للظاهرة التربوية محل الدراسة، كما يسعى إلى الكشف عن غير المتوقع للظاهرة التربوية، إعتماداً على مشاركة الباحث المتمعنة لمجتمع الدراسة، ولكونه الأداة الرئيسية في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها.
5. الاعتماد على المقابلة والملاحظة: Rely on Interview & Observation: يعتمد البحث النوعي في جمع بياناته على الملاحظة، خصوصاً بالمشاركة والمقابلة المفتوحة المتمعنة، ومن ثم الوصف والتحليل باستخدام الكلمة والعبارة، عوضاً عن الأرقام والجدال الإحصائية.
6. المرونة: Flexibility يتميز البحث النوعي بالمرونة في الطريقة والتحليل، كما أنه بحث غير مقنن، فلا يخضع لضغط سابق للمتغيرات، كما أن له القدرة على الكشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات غير المقصودة خلال إجراء الدراسة.
7. التوجيه: Guidance: تتمثل مهمة الباحث النوعي في توجيه البحث للحصول على البيانات والتفسيرات من الحياة الاجتماعية، فالباحث يبقى متจำกراً فيها.
8. الانفتاح: Openness: إذا كانت عملية البحث الكمي مقننة ومحددة، فإن عملية البحث النوعي تكون مفتوحة، وإذا كانت مناهج البحث الكمي مغلقة وتتحكم خطوات البحث فيها بعقل الباحث، فإن مناهج البحث النوعي تعد مجالات وأفق مفتوح أمام الباحث والباحث للتبديل والتطوير.
9. الدينامية: Dynamic: ذلك أن هناك طابعاً ديناميكياً بين البحث والموضوع المبحوث، وهناك تفاعل وإتصال بين الباحث والباحثين وموضوع البحث ذاته.
10. الحساسية: Sensitivity: يحتاج الباحث النوعي إلى درجة من الحساسية تُمكّنه من الإحساس بالجو العام والتفاعلات داخل حقل الدراسة، ويطلب ذلك قدرة على جمع المعلومات من مصادر متعددة، وربطها بالسياق الثقافي والاجتماعي، وتحويلها لمعان ودلائل ذات صلة بموضوع الدراسة.
11. التفكير الاستقرائي: Inductive Thinking: تنطلق البحوث النوعية من منطلق منهجه يفترض أن الظاهرة الإنسانية متغيرة ونسبية، وهذا يتطلب فهمها في السياق والواقع المرتبط بها، ومن هنا يجب البدء من الجزيئات المكونة من الملاحظة والمعايشة للواقع كما هو، وصولاً إلى أنماط من التفسير والتحليل لإيجاد العلاقات، ومن ثم استنتاج فرضيات مبدئية، وأخيراً الوصول إلى نظريات.
12. التأمل النقدي: Critical Reflection: أي تأمل موضوع البحث وعملياته، أي الظواهر التي ينبغي دراستها، ووضع التصور النظري لمجال الموضوع ذاته.
13. التفسير: Interpretation: أي أن يقوم الباحث ببيان الخطوات المختلفة لعملية التفسير بقدر الإمكان، وتحدد القواعد التي ينبغي بموجها تفسير البيانات التي تم الحصول عليها ميدانياً، كما يتعين على الباحث النوعي تفسير بياناته على نحو أفضل، وألا يقع فريسة الترميز (الأستاذ، 2013).
- توظيف البحث النوعي في التطوير التربوي:**
في دراسته عن مدى استخدام المنهج النوعي في البحوث التربوية، ومن خلال تحليل البحوث المنشورة في عشر مجلات عربية خلال الفترة من 2005-2014، أشار الجنو (2016) إلى أن هناك ثلث دراسات فقط وظفت المنهج النوعي، بنسبة (0.86%)، مقابل 322 دراسة وظفت المنهج الكمي التقليدي، وبنسبة (92.52%). وفي هذا دلالة واضحة على عزوف الباحثين التربويين العرب عن استخدام المنهج النوعي لصالح المنهج الكمي.
ويركز البحث النوعي على وصف الظواهر، والفهم الأعمق لها، وهو بهذا يختلف عن البحث الكمي الذي يركز عادة على التجريب، والكشف عن السبب أو النتيجة، بالاعتماد على المعطيات العددية، فالسؤال المطروح في البحث النوعي سؤال مفتوح النهاية، ويهتم بالعملية والمعنى أكثر من اهتمامه بالسبب والنتيجة.
- ويتمثل البحث النوعي منهجه رئيسة في البحث التربوي، تهدف إلى تطبيق أساليب بحثية كيفية لا كمية، بهدف الوصول إلى أقصى درجة ممكنة من الفهم للظاهرة التربوية المدرسية، من خلال الغوص في تفاصيلها، والوقوف على أبعادها الكامنة، والعوامل المؤثرة في استمرارها وتطورها، بشرط أن يتم ذلك في السياق الطبيعي للظاهرة، دون قيام الباحث بأي إجراء من شأنه أن يعدل من مسارها، أو يعمل على تفسيرها على نحو مخالف للحقيقة، أو يُضمّنها رؤية متحيزة غير موضوعية (محمد، 2015).
- لقد أشار كريسوبل (Creswell, 2014) إلى أن زيادة التركيز على البحث التربوي النوعي قد جاءت نتيجة لتزايد النقد الموجه لمناهج البحث التربوي الكمي، بقيادة المدرستين: النقدية والتفسيرية، اللتين تريان أن البحوث الكمية التي تستخدم الاستبيانات والطرائق الإحصائية، قد تفهم من قبل

المبحوثين على عكس ما يهدف إليه، وأنها لا تدرس الظاهرة التربوية بكل أبعادها على نحو متكامل، فضلاً عن أنها لا تعطي للمبحوثين الفرصة الكافية لتقديم رؤيتهم ووجهات نظرهم. ومنذ ثمانينيات القرن العشرين، فقد بدأ التحول الكبير في استخدام البحوث النوعية في العلوم الإنسانية، وفي مجالات عُرفت تاريخياً باعتمادها المنهج الكمي الإحصائي، إذ أخذت هذه العلوم تحول تدريجياً نحو تطبيق البحث النوعي، نظراً إلى ما يتحقق من معلومات نوعية تحليلية، تعتمد التعمق والتبصر والوصف.

وتناسب أساليب جمع البيانات في البحوث النوعية مع فلسفة الباحث النوعي، حيث يستخدم الباحث النوعي المقابلات المفتوحة، ومجموعات التركيز، والملاحظة بالمشاركة، وتحليل الوثائق، وتحليل الخطاب، أو القصص السردية وتاريخ حياة الشخص. ويقوم الباحث النوعي بتحليل هذه البيانات من خلال القراءة المتعمقة للمعلومات، وترميز أو تحليل المفاهيم بدلاً من تحويلها إلى بيانات كمية. وتنعكس كل هذه السمات في طريقة كتابة البحث النوعي، حيث توصف نتائج البحث النوعي بأنها دراسات غنية بالوصف، وهذا يعني رصد شامل مفصل للتجربة الشخصية للمشاركين، والمعاني التي يحملونها كأفراد مميزين، بدلاً من التركيز الكمي على المتغيرات والأرقام (Beail & Williams, 2014).

وخلال القول في رؤيتنا النقدية للبحث التربوي العربي، أننا أمام بحث تربوي ضحل، يعتمد على نحو رئيس على المنهج الكمي، وبطريقة لا تنسجم مع الفئيات العلمية لهذا المنهج الكمي، وينفذه أشخاص بباحثين؛ إلا النذر القليل جداً، وهكذا فإن هذا البحث لا يُسهم في معالجة قضايا التربية العربية ومشكلاتها. ومن هنا جاء اقتراحنا بتبني آليات تحفيزية لتوظيف البحث التربوي النوعي، لعله يكون الملاذ، والقلعة الأخيرة نحو تأصيل البحث التربوي العربي.

المصادر والمراجع

- الأستاذ، م. (2013). *المنهج الإنثوغرافي: أولوية مقترنة في تشخيص المشهد التربوي وتطويره*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر العلمي الثاني: أولويات البحث العلمي في فلسطين. الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- الحنو، إ. (2016). معيقات استخدام منهجيات البحث النوعي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في أقسام التربية الخاصة بالجامعات السعودية. *المجلة السعودية للتربية الخاصة*، جامعة الملك سعود، 2(2): 45-80.
- الدهشان، ج. (2015). نحو رؤية للبحث التربوي العربي. *نقد وتنوير*، 1، 45-60.
- السعود، ر. (2021). *اتجاهات معاصرة في القيادة التربوية*. عمان: طارق للخدمات المكتبة.
- السعود، ر. (2021). *قضايا معاصرة في القيادة التربوية*. عمان: طارق للنشر والتوزيع.
- السعود، ر. والجادري، ع. (2019). *المدخل إلى مفاهيم البحث العلمي والإحصاء*. عمان: دار جرير للنشر والتوزيع.
- فرج، ه. (2007). *بنية البحث العلمي التربوي، رؤية فلسفية*. ورقة مقدمة إلى مؤتمر البحث العلمي. كلية التربية، جامعة الأزهر بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية، القاهرة، 17-19/2/2007.
- محمد، إ. (2015). *المناهج الكمية وملاءمتها لقضايا كيفية في دراسات علم الاجتماع: دراسة تطبيقية على موضوع القيم في الرسائل العلمية بقسم الدراسات الاجتماعية* بجامعة الملك سعود نموذج. مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، 27(2)، 139-179.
- المهدي، م. (2007). *البحث العلمي التربوي بين دلالات الخبراء وممارسات الباحثين*. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة للنشر.

References

- Beail, N., & Williams, K. (2014). Using Qualitative Methods in Research with People Who Have Intellectual Disabilities. *Journal of Applied Research in Intellectual Disabilities*, 27(2), 85-96.
- Creswell, J. (2014). *Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches*. New York: Sage Publications
- Doherty, V., & Peters, L. (1981). *Goals and Objectives in Educational Planning and Evaluation*. Educational Leadership, Association for Supervision and Curriculum Development.